ذاكرة عراقية
ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

يونس بحري، قرّبه الرؤساء وأحبه الناس واقترن اسمه بهتلر !

يونس بحري.. الخيال.. وظل الحقيقة! يونس بحري.. ربما سمعنا عنه جميعاً.. لكننا عرفنا عنه النزر اليسير والمتفرق. نعرف انه عمل في إذاعة برلين واخرج منها بقرار من الحاج أمين الحسيني بعد ان كان العامل الرئيسي في نجاحها واستحوذ على آذان المستمعين العرب في كل مكان وقد قرر الحسيني إخراجه لانه لم يكن يلتزم بنصوص البيانات والتعليقات التي كان يعدها المكتب العربي في القدس فقد كان ينفعل ويضيف عبارات قاسية غير مكتوبة في النص وكان يخص الوصي عبد الإله بالقسم الأكبر من شتائمه وكذلك نوري السعيد والملك عبد الله في الأردن.

سمير عبد الله الصائغ

نشأته

هو من أبناء مدينة الموصل.. سار في دروب الحياة واختط فيها نهجاً متفرداً وزار الأصقاع والأمصار.. ثم عاد إلى مسقط رأسه ليقضي ما تبقى من عمره في بيت أحد أقربائه الصحفي (نزار محمد زكي الجبوري) الذي عمل في وكالة الأنباء العراقية لفترة من الزمان.. وقد مات البحري في بغداد ودفنته البلدية في مقبرة الغزالي في آذار (مارس) من عام ١٩٧٩.. وكان الزميل الجبوري في حينه مراسلاً لوكالة الأنباء العراقية في بيروت، وقد أجاب الصحفي نزار الجبوري عن الأسئلة المتخصصة بحياة البحري موضحاً بأسلوب جميل ومتسلسل حسب التعاقب التاريخي للأحداث، وهذا هو نص الحوار.

هو يونس صالح خلف الجبوري ولد ونشأ في محلة الخضر في الموصل وهو من عشائر الجبور التي استقرت في ضواحي مدينة الموصل منذ زهاء خمسة قرون. وتسمى عشيرته الجوابنة ويعود أصلها الى قحطان.

كان والده صالح أغا الجبوري يوزباشي في الجيش العثماني يقوم بتأمين البريد بين إسطنبول مركز الدولة العثمانية وولاية الموصل. له أخوان صادق أفندي الجبوري الذي توفي عام ١٩٤٧ وكان قائممقاماً لعدة أقضية في وسط وشمال العراق ومنها دلي عباس وشرانش والعاصي وكان يونس يزوره في هذه المناطق زيارات طويلة وتعلم خلالها العديد من اللغات المحلية كما سيأتي ذكره لاحقاً، والأخ الثالث طه الجبوري وكان مُعقباً في محاكم الموصل.

ويونس بحري طويل القامة أشقر عيونه زرق وصوته عالي النبرة، درس في مدارس الموصل وأمتهن الصحافة في وقت مبكر واصدر أول كتبه (العراق اليوم) عام ١٩٢٤ المحفوظ في مكتبة الأوقاف في الموصل وكان محرراً رئيسياً في صحيفة (العقاب) وهي سياسية أدبية. دخل معترك السياسة كمعلق صحفي وإذاعي في بداية الثلاثينيات قبل وبعد تتويج الملك غازي الأول ملكاً على العراق حيث كان أحد أصدقائه المقربين لعدة أسباب منها ميول الملك غازي السياسية التي تنسجم مع تلك التي للصحفي الموصلي يونس وتتمثلان بمعاداتهما للسياسة البريطانية وانحيازهما الى حكومة (الرايخ الثالث) أي حكومة (هتلر)، وكان يونس بحري أول مذيع قدم الملك غازي من إذاعة قصر الزهور.

وقصة هذه الإذاعة أن الملك غازي كان مصوناً غير مسؤول ولا يمكن للمندوب السامي التدخل في شؤونه الخاصة كما لم يكن له سلطة رسمية على القصر الملكي باعتباره مندوباً سامياً والعراق تحت الوصاية البريطانية وعن هذا السبيل استطاع يونس بحري بصوته أن يعبر عن آراء الملك عبر هذه الإذاعة، أو استطاع الملك غازي أن يعبر عن آرائه من خلال هذه الإذاعة وبصوت يونس بحري.

وعند اغتيال الملك غازي كتب يونس قصة مقتله في إحدى الصحف وقام بنفسه بتوزيع نسخ الصحيفة على دراجة نارية موضحاً أن عبد الإله ونوري السعيد قد تآمرا مع الإنكليز واغتالوه وكما هو معروف. وإذ ذاك أدرك خطورة وجوده في العراق فاتفق مع القنصل الألماني في بغداد الدكتور كروبا على الهرب خارج العراق.. فوصلت الى بغداد طائرة ألمانية تحمل وفداً صحافياً وعند هبوط الطائرة صعد إليها يونس باعتباره صحافياً لمقابلة الوفد فعادت الى التحليق متجهة الى ألمانيا، وهناك أصبح أحد أقرب المقربين للقيادة النازية وبالذات لكوبلز وزير الإعلام ومنح رتبة عسكرية ألمانية بدرجة ماريشال وكان يحمل على كتفه الصليب المعقوف في الحفلات الرسمية التي يحضرها وأسس الإذاعة العربية في برلين بإعلانها ذائع الصيت (هنا برلين حي العرب) وخصصت هذه الإذاعة تعليقاتها الرئيسية لمهاجمة الحلفاء وتوعية الجماهير العربية للخطر الاستعماري المحدق بهم كأمة. تزوج يونس أول مرة من امرأة موصلية اسمها مديحة من منطقة متفرعة من شارع النجفي الحالي وأنجب منها ابنين وبنتاً وابنه البكر.. هو الدكتور لؤي بحري وهو أستاذ يدرس حالياً في جامعة الجزائر للعلوم السياسية، والثاني الدكتور سعدي يونس الفنان الأكاديمي المتخصص في الفنون المسرحية (المسرح الشعبي)، والبنت هي الدكتورة منى بحري الأستاذة المتقاعدة حالياً من جامعة بغداد والمتخصصة بعلم النفس، يتقن يونس بحري ست عشرة لغة عالمية أساسية قراءة وكتابة عدا اللغات واللهجات المحلية العراقية فيتقن مثلاً على المستوى العالمي اللغة السواحيلية، وقد وصل عدد زوجاته إلى أكثر من أربعين وكان يقول لقد بدأت بشهريار الإيرانية وانتهيت بشهرزاد السورية، ولا أحد يدري ان كان قد تزوج شهريار قبل زوجته الموصلية مديحة أم بعدها.

(وقد كان رجلاً عجائبياً حقاً) ففي فترة من حياته في الهند كان يعمل راهباً في النهار وراقصاً في ملهى بالليل ويجد مع ذلك وقتاً ليقوم بعمل إضافي هو مراسل لأحدى الصحف الهندية، وفي وقت آخر أصبح مفتياً في أندونسيا ومرة جاءه أحد سكان الجزيرة المعروفين مُصطحباً معه فتاة في منتهى الجمال يريد منه ان يعقد قرانه عليها.. (فاستحيفها) يونس لأن الرجل كان مُسناً ودميماً وافهمه انه لا يجوز شرعاً عقد قرانه عليها، فصدقه الرجل لانه (مفتي) وترك الفتاة فتزوجها المفتي، وقد سُمي بالبحري لأنه وصل في إحدى جولاته سائحاً في منتصف الثلاثينيات (طاف العالم أربع مرات) الى الساحل الذي ينطلق منه سباحو العالم لعبور بحر المانش، فتقدم يونس باسمه وبعلم بلاده العراق لدخول المسابقة قبل ساعات معدودة من بدئها دون تحضير سابق أو تدريب. فعبر البحر محرزاً قصبة السبق وفائزاً بالمركز الأول مسجلاً سابقة لا مثيل لها فأطلقت عليه تسمية يونس البحري ومنح جواز سفر دبلوماسياً ألمانياً بهذا الاسم وأول مرة.

السفر والغربة والوحدة

لقد ضاع حقه فعلاً حيث قبل ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ مباشرة وصل الى العراق فأرسل في طلبه نوري السعيد وكان هناك خلاف بين السعيد وعبد الناصر فطلب إليه نوري السعيد أن يذيع مقالاته ضد عبد الناصر.. ففعل.. فأعتبر بعد الثورة أحد أنصار نوري السعيد في حين انه حارب الاستعمار والسياسة البريطانية والوجود الأجنبي في العراق سنين طويلة، واعتقل بعد الثورة لفترة تقارب السبعة أشهر وأطلق سراحه دون محاكمة لعدم كفاية الأدلة وعدم وجود قضية أصلاً وذلك بعد مقابلة حامية مع عبد الكريم قاسم.. وقد تعرف أثناء اعتقاله الى رئيس عرفاء في السجن فقال له مرة: لماذا لا تقوم بانقلاب وتستولي على السلطة؟ فأجاب: كيف وأنا رئيس عرفاء؟ فقال: وكيف استطاع رئيس عرفاء في دولة أفريقية القيام بثورة.. وحين سمع عبد الكريم قاسم هذه المحادثة أرسل في طلبه وقال له: أتريد أن تفسد عليّ جنودي؟ وبعد إطلاق سراحه أفتتح مطعماً في منطقة الكرادة ببغداد وأخذ يرتاده كبار الشخصيات السياسية والفكرية والسفراء فكان أشبه بمنتدى وكان يونس يقوم بطبخ الأكلات المختلفة التي تعلمها أثناء سفراته.. ولم تجد أجهزة أمن عبد الكريم قاسم ريبة في هذه المسألة فسمحوا له بالسفر بعد أن أخذ عبد الكريم قاسم منه وعداً بعدم مهاجمة نظامه بعد مغادرته الأراضي العراقية. وقد تم تخصيص راتب له بعد سفره الى لبنان قدره مئة دينار يتسلمه من السفارة العراقية في بيروت ولكنه لم يتوقف عن نشاطه فأصدر كتابه الذي يشرح فيه وضعه في موقف أبي غريب والموقف العام في باب المعظم (سبعة أشهر في سجون قاسم).

عمله في الصحافة

أصدر يونس بحري نحو ستة عشر كتاباً منها (العراق اليوم)، (الحرب العراقية البريطانية) وسلسلة (هنا برلين حي العرب) زهاء عشرة أجزاء و (سبعة أشهر في سجون قاسم).. ومن الصحف التي أصدرها كان صاحب ورئيس تحرير صحيفة (العرب) الصادرة في باريس أواخر الخمسينيات باللغة العربية كما أصدر صحيفة (أبو ظبي نيوز) باللغة الإنكليزية في (أبو ظبي) وأصدر مجلة (العراق والكويت) في اندونيسيا في منتصف الثلاثينيات.. وربما توجد نسخ لكل أو لبعض هذه المنشورات وكتبه موجودة في مكتبة الأستاذ محمد صديق الجليلي.

كان من أبرز صعاليك الشرق في هذا القرن.. وكان يتنقل حاملاً في حقيبته الدبلوماسية أربعة أشياء: جواز سفر، قنينة عرق، فرشاة أسنان وأدوات الحلاقة. وقد شارك في التظاهرة التي تدلل على وطنية حقة والتي تحولت الى هجوم على القنصلية البريطانية قرب منطقة المحطة في مدينة الموصل حيث قُتل القنصل البريطاني.

وكان من أبرز أصدقائه محمد صديق الجليلي الذي كان يدعوه دائماً الى مجالسته وكذلك عبد الجواد الطوبجي وعبد الوهاب الخياط وكان الأدباء في السنوات الأخيرة يدعونه ويجالسونه في الموصل مثل القاص الدكتور نجمان ياسين والقاص محمد عطاء الله والشاعر سالم الخباز.. لم يكن يتحسر على شيء لانه عاش حياته بكل تفاصيلها.. من الرهبنة والتعبد والتصوف الى الرقص واللهو والسكر إضافة الى السياحة والرياضة والصحافة والإذاعة والتنقل بين الزوجات كما لو كانت بلداناً يطوف بها، وكان الحصول على المال من أيسر الأشياء بالنسبة له.

ومع هذا مات وحيداً مفلساً في دار أحد معارفه في الباب الشرقي في بغداد وكنت وقتها في بيروت مراسلاً لوكالة الأنباء العراقية وقد علمت بالوفاة عن خبر أوردته وكالة رويتر للأنباء وأوردته كذلك الأنباء الفرنسية ونشر الخبر في الصفحة الأولى لجريدة (النهار) اللبنانية.

وكان والد غسان تويني مؤسس جريدة النهار صديقاً حميماً له وهو الذي عرفه باللبنانية سميرة أيوب وزوجه إياها والتي توفيت في حادثة سيارة قبل ثورة ١٤ تموز (يوليو) بفترة قصيرة جداً، وكانت تزوره في السجن برفقته حيث اعتادت أن تحضر له ليرات ذهبية حيث كنت أصرفها بثلاثة دنانير إلا ربعاً وأعتاد أن يطلب مني حين كان في الموقف كلوس (تكة) سكاير (نوع كامل) camel: وحليب قواطي غير مُحلى.

ومن النوادر التي حدثت له في الموقف العام إنه وتوفيق السويدي كانا في قاعة واحدة وكان كلاهما يُكنى (بأبي لؤي) وفي يوم جاء ضابط السجن صائحاً: من (أبو لؤي).. فخاف السويدي لانه توقع أن يكون وراءه شراً ولم يجب.. واجابه يونس بحري وكانت المفاجأة أن الضابط أحضر مظروفاً يحوي مئة دينار فوقع بحري وتسلمها.. وبعد أيام جاءت رسالة الى توفيق السويدي تقول: هل تسلمت المئة دينار؟.. (ومن طريف حديثه قبل وفاته بفترة قصيرة أن جاءه أحد الزوار وكان يتحدث بشكل بطولي عن مقدرته حيث خدع أحد أفراد شرطة الحدود وهّرب بعض المواد حين دخوله العراق من الحدود التركية.. وبعد مغادرة هذا الرجل قال بحري: ضحكنا على ذقون ملوك ورؤساء سنين طويلة وهذا يتفاخر بأنه خدع شرطياً..!).

ولم يكن خائفاً من السجن لأنه لم يكن خائناً وقد سبق أن حُكم ثلاث مرات بالإعدام خارج الوطن وداخله حيث أصدر نوري السعيد حكم الإعدام بحقه غيابياً.. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية حكمه الحلفاء أيضا.. وحُكم مرة في إفريقيا أثناء الحرب أيضاً حيث أرسل مبعوثاً عن الحكومة الفرنسية لمفاوضة إحدى القبائل الحاكمة وحين رأوا أسمه على الجواز (JOHANS BAHRI) تصوروه عميلاً فرنسياً وحكموه بالإعدام. . وحين سأله الضابط المسؤول عن رغبته قبل ان ينفذ فيه الحكم في اليوم التالي طلب قنينة ويسكي.. فقال له: كيف تطلب مشروباً وتستسيغ شربه وأنت مقبل على موت محتم؟ فأجابه أنا مجنون حيث جئت هنا.. فلماذا لا أطلب المشروب؟ فضحك الضابط وجلب ماطلبه وفي الهزيع الأخير من الليل جاءه لا ليقتاده الى ساحة الإعدام بل ليهربه.

لماذا أختارني أنا بالذات لاكون ملاذه الأخير؟

اختارني انا لأن علاقته بأولاده كانت واهية لأنه تركهم صغاراً عند جدتهم لأمهم (مريم خانم) والتي كانت تملك في الثلاثينيات في مدينة الموصل مدرسة لتعليم الخياطة. وقد لحقت به (أي بيونس) أمهم (مديحة) إلى باريس وصارت تمتلك صالون حلاقة هناك.

أما أنا فكنت قريباً منه لأسباب عدة أولها أني أعمل في السياسة والصحافة مثله، واكبته فترة طويلة وكنت وقتها أعزب ومستقلاً في شقة في مدينة الموصل.. وأمتلك روحاً منطلقة مشابهة لروح ونفس يونس بحري.. أي كنا نعيش من دون تحفظات أو تزمت من أي نوع.. حيث التقت روحانا المتفتحان العصريتان برغم فارق العمر والتجربة ومسار الحياة.

وزير داخلية في العهد الملكي يكشف زمرة المفسدين

أزهر الناصري

بالرغم منْ عدم وجود لجان النزاهة ومحاربة الفساد المالي والإداريَ كما هو معلن في أيامنا الآن في مجلس النواب: كان في العهد الملكي وزير نزيه ومخلص لبلده، استطاع ان يكشف عن هذه الزمرة، بالرغم من كون بعضهم من السياسيين المخضرمين: كما جاء في مذكرات ناجي شوكت. بعد ان تسلم ناجي شوكت برقية من الملك فيصل بتاريخ ٣١/ تشرين الاول/١٩٣١ وهو في اسطنبول يعينه وزيرا للداخلية، وبعد افتتاح مجلس الامة بخمسة أيام باشر عمله وزيراً للداخلية، وفي الوقت الذي شرع في مزاولة عمله حتى سمع أطلاقات نارية بالقرب من غرفته، ودخل الفراش عليه وهو يقول: اترك غرفتك يا سيدي حالا، قتل المدير العام عبد الله الصائغ في غرفته، فترك الوزير غرفته ليتبين الأسباب، واذا بمدير الشرطة يدخل غرفة المدير العام ويجده منحنياً وقد فارق الحياة، وقد جلس أمامه عبد الفالح السعدون وبيده المسدس الذي قتل به المدير، فرمى مسدسه على الأرض، واستسلم لمدير الشرطة ثم سيق القاتل الى المحكمة الكبرى وحكم عليه بالإعدام وقد تأبد هذا الحكم تميزاً وعلل الملك فيصل استبدال الحكم الى السجن. لاعتبارات قبلية فقد عقد عبد الله الصانع على كريمة عبد المحسن السعدون على الرغم من معارضة السعدونيين له، على أساس ان والدة القتيل كانت زنجية مملوكة لوالده وكانت السنن القبلية لدى السعدونيين لا تجيز مثل هذا الزواج. اجتمع ناجي شوكت باعتباره وزيراً للداخلية: بـ ياسين الهاشمي ورشيد عالي وحكمت سليمان وجميل المدفعي وغيرهم من حزب الوفد فكان احتجاجاً على سلوك مزاحم الباججي مع المعارضة ومع المضربين وغيرهم ومطاردته خصومه بشتى الأنواع خلافاً للنصوص الدستورية. واتضح لناجي شوكت ان هنالك كتباً سرية وجهت الى بعض الشخصيات السياسية وفيها هتك للأعراض ومس بالكرامات، وان مزاحم اصدر امراً بعزل محمود صبحي الدفتري من امانة العاصمة، وان في هذا الأمر كما يقول ناجي شوكت عبارة جارحة غير مألوفة في المراسلات الحكومية، ولا بين الناس. وكان مزاحم المومى اليه قد استقال من منصبه وزيراً للداخلية قبل وصول ناجي شوكت الى العراق. ولكن رئيس الوزراء فضل استقالة الوزارة حفاظاً لكرامة زميله الباججي. ثم شكل الوزارة نوري السعيد رئيساً لمجلس الوزراء وناجي شوكت وزيراً للداخلية: يقول ناجي شوكت: كان أول واجب فكرت القيام به محو اثر الإساءة التي لحقت أمين العاصمة .محمود صبحي الدفتري. فسحبت امر العزل الموجه اليه في ملفات الوزارة، وقدم المومى اليه كتاب استقالته من منصبه ٧/ ١١ /١٩٣١. ثم أردت ان أتحقق من الإشاعات التي كانت الألسن تلوكها من ان المزاحم الباججي له علم بالكتب السرية البذيئة، فكلفت نائب المفتش العام للشرطة ومدير التحقيقات الجنائية ان يشرع في التحقيقات السرية للغاية دون ان يستجوب شاهداً ويستمع الى إفادة مشتبه به، وقد قام المومى اليه بعمله على الوجه الاكمل وقدم الي تقريره المفصل في الأول من شباط ١٩٣٢ فلم ار من اللياقة او المصلحة نشر هذا التقرير، وانما اكتفي بذكر بعض الفقرات المهمة التي جاءت فيه وهي أولاً. ان آلة الطباعة التي استخدمت في طبع هذه الرسائل تعود الى شعبة المحاسبة في أمانة العاصمة، وهي من ماركة موناك، وليس في بغداد كلها غير آلتين اثنتين من هذا الطراز وان هذه الآلة نقلت من موضعها مرة الى دار رفيق نوري السعيدي مدير التحرير في أمانة العاصمة وهو احد الذين كانوا متهمين في اعداد الرسائل موضوعة البحث.

ثانياً. ان غلافات بعض الرسائل كانت بخط احمد قاسم راجي احد المتهمين.

ثالثاً. ان وزير الداخلية مزاحم الباججي لم يتخذ أي اجراء لمنع توزيع هذه الرسائل، ولما اراد القريب ان يوقفها منعه الوزير عن ذلك مع علمه بمحتوياتها من بذاءة ومس بالكرامات.

رابعاً. ان المتهمين في هذه القضية هم جميل نوري السعيدي احمد قاسم راجي. فاضل قاسم راجي إبراهيم الجراح عبد الرزاق السامرائي عبد الله البراك، وان سجل الأحوال الشخصية لهؤلاء لم يكن نظيفاً ففاضل قاسم راجي كان مفصولا من الخدمة بتهمة الاختلاس وأخوه احمد قاسم راجي كان مفصولا في الأوقاف فاستخدمه الوزير في أمانة العاصمة على الرغم من معارضة أمين العاصمة، لهذا التعيين.

خامساً. ظهر في سجل المخصصات السرية لوزارة الداخلية ان احمد قاسم راجي قبض من هذه المخصصات اكثر من مرة. وان إبراهيم محمود الجراح شوهد يزور وزير الداخلية في مقره اثناء الدوام الرسمي، وان عبد الرزاق السامرائي كان يسب امين العاصمة علناً وانه من جماعة الباججي المقربين. فرجوت رئيس الوزراء ان يطلب من مجلس النواب رفع الحصانة النيابية عن الوزير الباججي نزولا عند رغبة محكمة الجزاء تمهيدا لمحاكمته، ولكن الباججي أسرع الى تقديم استقالته من النيابة فقبلها المجلس في جلسته المنعقدة في ٢٨/ أيار/ ١٩٣٢، وبعد مرافعات طويلة وأحكام مختلفة، رأى الملك فيصل ان المصلحة العامة تقضي بغلق هذه القضية بعد ان كان قد وافق على السير بها للنهاية!

وسائط النقل بين المدن العراقية في عشرينيات القرن الماضي

وداد جمال محمد

لم تكن السيارات منتشرة على نطاق واسع في بداية القرن العشرين بل كانت البواخر هي الواسطة الوحيدة لنقل المسافرين بين المدن العراقية وقد أدركت هذه البواخر التي كانت تقف على شاطئ دجلة بالقرب من السوق الكبير بمدينة «العمارة» وهي ذات طابقين وكان المسافرون يتزودون بالطعام وأدوات الشاي لان السفرة من العمارة الى بغداد تستغرق ثلاثة او أربعة أيام.

ومن هذه البواخر «دجلة والفرات والخابور وزنوبيا والزاب» وكان المودعون يصعدون الى هذه البواخر لوداع ذويهم وحين تبدأ الباخرة بالتحرك ينادي «القبطان» بالمكرفون «غريب برة» ثم يبدأ بكاء المودعين لذويهم.

اما الباخرتان «سليمة ونعيمة» فقد كانتا تنقلان «المنتجات النفطية» الى المدن التي تقع على ضفاف نهر «دجلة».

أما المنتجات الزراعية كالرز والحنطة والشعير فقد كانت تنقل بوساطة السفن الشراعية الكبيرة المسماة «المهيلات» الى المحال الاستهلاكية. وبعد شيوع استعمال السيارات انسحبت تلك البواخر الى البصرة ومنها الى «استانبول» عن طريق «قناة السويس» «حتى البحر الأبيض المتوسط» واستقرت في «بحر مرمره» لتقوم بسفرات سياحية بين الجزر الواقعة في ذلك البحر وقد شاهدتها يوم زرت «استانبول» في ثمانينيات القرن الماضي.